لست أتعامل مع رواياتي بوجدان يشدني إلى إحداها، وإنما أتعامل مع الرواية التي أنجزتها على أنها تجريب لاختراق عوالم وتجريب لتقنيات سردية لا يمكن أن تتكرر في رواية لاحقة. هاجسي هو التجاوز. تجاوز ما أنجزته في اتجاه ما سوف أنجزه. في مختبري السردي لا توجد هذه الأفضلية بين كيمياء نص وخيمياء نص آخر. الروايات التي كتبتها ونشرتها أنساها عادة، ولا أتذكرها إلا حينما أريد أن أتجاوز عوالمها في اتجاه عوالم أخرى مبكرة، وأن أتجاوز تقنياتها السردية لبناء تقنيات أخرى، حتى لا يكون لي نص روائي يشبه الآخر. انظر مثلا: إن "رحيل البحر" لا تشبه "أيها الرائي"، و"مغارات" لا تشبه "خفق أجنحة"، و"أيام الرماد لا تشبه "زهرة الآس"، و"امرأة من ماء" لا تشبه "حكاية غراب". إني أنسى ما كتبت ونشرت من أعمال، ولا أستحضرها إلا وأنا أبحث في مختبري السردي عن مغايرة في تفاصيل المحكي، وطرائق البناء، وتشكيل العوالم، والاشتغال على الكتابة نفسها من حيث هي لغة وتخييل. إن توسيع العوالم، والاشتغال على الأشكال، هو يشغلني، ولا يشغلني تمجيد عمل من أعمالي، أو حتى أعمالي كلها.

أنا مغامر بالكتابو والمغامرون من الرحالة ما كانوا يمجدون مكانا على حساب آخر، بل كانت لهم في كل مكان يرتادونه جراح حكاية. هكذا أنا أغامر بالترحل من نص روائي إلى آخر. أجد اللذة في الترحل عبر الكتابة، دون أن أقع في أسر عمل معين، أسقط في تمجيده، فذلك يعوق تجاوزه في اتجاه كتابة عمل آخر مغاير.

أما عن العمل الذي عاد الزمن إلى الأمام، وبعد نشره، وقمت بإعادة صياغته ومراجعته وتنسيقه من جديد، فهي أعمال كثيرة قمت بإعادة الاشتغال عليها، بمناسبة طبعة جديدة، أو بمناسبة نشر "أعمالي الكاملة" فكنت أتدخل بالتنقيح اللغوي تارة وتارة أخرى بإعادة البناء والتشكيل وتارة ثالثة بأعادة صياغة العمل صوغا جديدا. حدث ذلك مع الطبعة الثانية من "رحيل البحر" فمن يقارن بين طبعتها الأولى التي صدرت من بيروت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت وطبعتها الثانية التي صدرت عن منتدى أصيلة بالمغرب، سيجد أن تشذيبا لحديقة السرد الروائي قد وقع. وحدث مع "المباءة"، فمن يقرأ نصها الذي نشرته إفريقيا ابلشرق ونصها الذي نشرته مكتبة الأمة سيجد أن تعديلا كبيرا قد طرأ على النص، وكان ذلك بمناسبة تقرير الرواية على تلاميذ الثانوي.

التعديلات التي أجريتها على بعض أعمالي، لم تمس من كيان العمل ومضمونه وروحه، بل هي صوغ أدبي جديد له، يحافظ على خصوصيته ومعناه، ولكنه يعمل على تقديمه في حلة أكثر اقتصادا وبهاء، ربما! لم أكن أخون رواياتي التي مارست عليها هذا النوع من التعديل، بل كنت أبحث لها عن شكل أكثر ملاءمة، حتى وقد كانت قد صدرت في طبعة سابقة، واحتفى بها القراء والنقاد.

لا أجد غضاضة في هذا الأمر، ولست خجولا من الرواية التي نشرتها، وكما هي، في طبعتها الأولى، بل أنا، ولقد استشرت العديد من النقاد في هذه المسألة، أملك الحق في إجراء مثل هذه التعديلات على النص بمناسبة طبعة جديدة.

هنا، ومن هذه المكابدة، أقول إنني لست أميل بحنين خاص إلى واحد من أعمالي، لكي أسميه، ربما لأن ما سبق أن كتبته من أعمال، لا يشدني أكثر من مما تشدني الأعمال الروائية التي أنا بصدد كتابتها، أو الأعمال التي استشرف كتابتها.

سؤال: ما هو السؤال الذي تمنيتم لو طرح عليكم، ولم يطرح في هذا اللقاء الحواري؟

جواب: هو سؤال أنا الذي هو أنا، والذي ليس هو أنا، في أعمالي الروائية.

*مترجم وقاص مغربي.

لا تحزنوا على محمود درويش انه لم يفارقنا!

❑ جمال محمد تقي*

صحيح ان الارض تتكلم عربي
كما يغرد سيد مكاوي، ولكن اي نوع
من هذا الكلام العربي الذي تردده
تلك الارض، فالكلام العربي حمال
اوجه عندما لا ينقط بغناء مقامات
المتكلم، وهو عندما لا يدوزن فانه
يتحول الى رموز معجمية تشبه
التعاويذ والتراتيل المشعوذة، الكلام
العربي هو غناء صاحبه، انه يفسر
انفاس من يتكلم به، وهذه الانفاس
كالارواح، مضامين مختلفة في جنس
واحد، هي ليست نمطية، منها المتمردة
ومنها التائهة، والمشوهة والمفوهة
والزائغة واليائسة والبائسة، المقاومة
والمستسلمة المنعزلة والمنفتحة
المتعصبة والمتسامحة الثابتة
والمتحولة، الارض تنتقي، الارض
تغربل، الارض لا تجامل، الارض
تعرف اشجارها، تعرف ابناؤها،
الارض عندما تختار كلاما لاغانيها
لتراتيلها فانها تستنشقه مع نسغ
تلك الاشجار وترتشفه من الفضاء
بمسامات صخورها، الارض تتبادل
التمثيل مع المصطفين من احبابها
فينطقون عنها وتنطق عنهم كلام مثل
كلام حفيف اوراق الشجر او رائحة
التراب المنتشي بالبلل، بلذة سيمياء
الطين، فل، وزهر لوز، وياسمين ، لغة
وطن، هو كذلك كلام الارض، تلك الارض
سيدته والمتكلم عاشق من فلسطين،
الارض تتماهى مع الكلام العربي الحي
المخصب المسدد، الكلام الذي يحيي
فيها امومتها ويجعل من طبقاتها
وعروقها وحبات ترابها وتلالها
ورمالها وصخورجبالها تضاريس
لجسد ليس كأي جسد، الارض أم
ولادة لكل الاجساد المفعمة بالاثدية
المنذية ماء الحياة، هي أمنا الارض
من يستحلب السماء ويستمنيها
نطفا، مطرا، روحا، وتذكرة لا يلغي
طقس الموت مفعول سفرها نحو البقاء
الابدي، الارض تدثر الاجساد منطفئة
الجذوة بتلافيفها، الارض تستعيد
عناصرها، الارض تمتص الارواح
الخارجة من اجسادها، الارض لا
تقبض الا على الارواح اليابسة، انها
تطلق سراح الارواح الخضراء التي
تطربها فتتراقص وتصفق باجنحتها
لربيع لاينقطع على سهول اشجار
اللوز الموردة كالفراشات ، الشعراء
الشعراء والشهداء الشهداء هم الذين
تمنحهم الارض امتيازها انهم احياء
في شهيقها وزفيرها يرزقون، يحلقون
في فردوسها المدبلج بكل اللغات الحية
!

ما اجملك
ما اروعك
ما اجمل واروع الارض التي
انبتتك
وحضنتك
واحتويتها واحتوتك وخلدتك .

من احن منها عليك ؟
تحن اليها وتحن اليك
" تحن الى خبزها وقهوتها
ولمستها وحضنها
وتكبر بك الطفولة يوماعلى
صدرها
وانك اذا ما مت يوما فانك تخجل
من دمعها . . "
ها هو اليوم
وها هي اليوم تتلقاك وانت تحيا
حياة الخلود حيا، حتى وان قالوا انك
قد مت !
لا تفكر
لا تخجل فليس كل الدمع مخجل
دمعها حنين عانق قدومك المبكر
لا تفكر
لا تعكر ، مزاجها، غزارة حفاوتها
لا فالزمان كله لك ولها وهو لا
يصفر
لا تفكر
واللقاء ابدي بها وهو ذكر لاينفك
يذكر
لا تفكر
ففي حضرتها تغسل الذنوب،
والدمع تعميد للروح حيث تعسكر
لا تفكر

مبعوث الشر شارون يغار من
حنينكما
ويحسدك لان الارض لا تريده الا
متفسخا
هو يتوسلها يحب على قدميها
لكنها لا تريده
ملك الموت يتوسط له عندها
لكنها تشترط عليه اناشيدها،
وروحه عاجزة، فليس له جدة او أم أو
شاعر يعرفها !

لا
لا تفكر
ونم قرير العين فانت انت وحدك
المنتصر !

يا متنبي الارض
يا متنبي العصر
اتعرف انك تعيد اختراع واكتشاف
المتنبي ؟
اتذكر كنت قد حاورته واستفسرت
عن سر حنينه لجدته في بيت شعره
القائل :
احن على الكأس التي شربت بها
. .
هل عرفت الان سره ؟
اسطورته واسطورتك توائم في
المكان ومطلقتان في الزمان !

سرك وسر المتنبي سهولتكما
الممتنعة والحكمة والغنائية المتدفقة
سرك وسره التجديد المؤصل
سرك وسره انكما شاعران منهمكان
حد الثمالة بحب الوجود
سرك وسره انكما تملئان الدنيا
وتحركان الناس
سرك وسره النفاذ في اللغة في
الكلمات في المعاني في الاجناس
سرك وسره انكما تشعلان اللغة
ثورة
انكما مولعان بالثنائيات المشتعلة
:
الدولة والثورة، الصغار والكبار،
ألانا والفكرة، السيف والقلم، حرية
الشعر وعبودية السلطة،

عزمكما متجاسر رغم تباينا تكما
في الاندفاع نحو سلطة السياسي
وادغامها بسلطة الثقافي،
عندكما مازال الشعر ديوان
العرب وسلطة تنازع كل السلطات،
ثنائية يبدو انها خالدة خلود السيف
والكلمة، القوة والجمال !
عزمكما نحو السماء السابعة لا
تثنيه المطبات والمؤامرات والمسافات
لا يثنيه حتى الموت !
" فعلى قدر اهل العزم تأتي
العزائم
وتكبر في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم "
حتى وان ذهب الذين تحبهم فهم
ذهب
انت ملح الارض
انت عطرها العطر
وهذه عصافير الجليل لك وحدك
تغرد وتحلق ؟
نعم الليل والخيل والبيداء
تعرفكما
ولم يتخلف الناس عن بيعة
تتوجيكما حتى من كان اعمى او به
صمم !
انتما مصائب على الطغاة لا
تنمحي
وروحكما فوائد لكل عاشق
يرتجي،
الشعر الشعر اصدق انباءا من
سيوف الغدر . ففي روحه الحد كل
الحد بين الخير والشر .

لا حاجة لك بعد الان ببطاقة هوية
فانت انت هوية
لا حاجة لك لتسجل انك عربي
والارض عربية
لا حاجة لك لتحذر عدوك
فهو قد وقع بالمحذور
وهو في غرفة الانعاش يتوسل
الارض ان تمنحه هوية !
" انت الحجر الذي شد البحار الى
قرون اليابسة
وانت نبي الانبياء
وشاعر الشعراء . .
انت اول القتلى وآخر من يموت
. . "

انت انت
وحتما انت تذكر ما سطره زميلك
سعدي يوسف في كرملك وهو يخاطب
ياسر عرفات قائلا :
" . . أدري بالذي تنوي إذا ما
اسودت الافاق،
وانقطعت بك الطرقات :
تذهب للبداية من نهايتها،
وتقول للعشاق : هذه وردتي
الاولى
لنضفرها على خصلات قنبلة،
لندخل في النهاية " .

لك ثلاث شهادات شفهية في ذاك
العدد من الكرمل اتذكرها ؟
اتذكر اجابتك على السؤال الذي
يقول : ماذا يعني لك الموت، انت الذي
عايشته في اكثر من لحظة، خلال
اربعة شهور ؟
اتذكر اجابتك ؟
" كان احساسي بان الحياة، لا
الموت، هي المصادفة . فالموت امتلك
في حينها الحق بالكلام، برا وبحرا
وجوا، لم يقدم لنا العالم الا الموت .
فكان علينا ان نقبل بهذا المصير . في
سباق دفاعنا عن الحرية، لا في سياق
البحث عن سلامة العبيد، كان علينا ان
نمسك بالمعادلة، الحرية او الموت . ولم
يكن امامنا اي خيار آخر، والموت لم
يكن نهاية أي شيء . كنا نثق بان دمنا
لا يمكن ان يذهب سدى . لا بد لهذا الدم
ان يحرك شيئا في هذا السكون، وان
يكون شاهدا على عصر يموت " .

ها انت قد قلتها انكم لن تموتوا،
وان خطفكم فانتم منتصرون .

* كاتب عراقي مقيم في السويد.